

This item is provided to support UOB courses.

Its content may not be copied or emailed to multiple sites or posted to a listserv without the copyright holder's express written permission.

However, users may print, download, or email it for individual use for learning and research purposes only.

هذه الوثيقة متوفرة لمساندة مقرارات الجامعة.

ويمنع منعاً باتاً نسخها في نسخ متعددة أو إرسالها بالبريد الإلكتروني إلى قائمة تعميم بدون الحصول على إذن مسبق من صاحب الحق القانوني للملكية الفكرية لكن يمكن للمستفيد أن يطبع أو يحفظ نسخة منها لاستخدام الشخصي لأغراض التعلم والبحث العلمي فقط.

كتاب

المصالح والموالاة

تأليف

أبي حيان التوحيدى

وهو مجموع مسامرات في فنون شتى
حاضر بها الوزير أبا عبد الله العارض في نحو أربعين ليلة

البر والإذن

صححه وضبطه وشرح غريبه

أحمد أمين و أحمد الزين

كتاب

339

للعلاقة بين الفسلة
و لعلة و كتاب بلا فاتح
و المؤاسدة

مقدمة الناشر

ان من غايات مكتبة الحياة للطباعة والنشر ان تبقى مجلة في كل مضمار يرتبط بالكتاب ، منها اختلف نوعه ومنحاه ، شرط ان يكون ذات قيمة انسانية يسهم في البناء الثقافي العربي المعاصر ، وقد الف القراء مفاجأت هذه المؤسسة النشطة بكتب التراث العربي الضخمة أمثال «الاغاني» لابي الفرج الاصبهاني و«محاضرات الادباء» لابي القاسم حسين محمد الراغب الاصبهاني و«جمع الامثال» للميداني و«عيون الانباء في طبقات الاطباء» لابن ابي أصيبيعة وغيرها الموسوعة التاريخية الادبية الضخمة «شرح نهج البلاغة» لابن ابي الحميد . كما نشرت «معجم متن اللغة» للشيخ احمد رضا في خمسة مجلدات . مع عشرات الكتب المتماثلة في الادب والفكر والتاريخ ، يقابلها ثروة من الترجمات العالمية لفلاسفة امثال : اشتينفلر ووايتهد وبرتراند راسل وجان بول سارتر وكامو وجون ديوبي وكثيرين غيرهم في حقول مختلفة من اقتصاد وعلم وسياسة وفلسفة وفن الفن .. وغيرها من هذا النشاط الرصين هي اغذاء المكتبة العربية وتهيئة الجوار فيها للكتب العالمية ، الآمنة الجوار .

وهي اذ تقدم كتاب «الامتعة والمؤانسة» في حلته هذه فاما تعتبره حلقة من سلسلة في موضوعه تواصل بما رسالتها امام تراث الحضارة العربية ولخدمة ثقافة العرب المعاصرة .

مقدمة

كتاب الامتعة والمؤانسة

بقلم : احمد ابي

أبو حيان التوحيدى من أوائل المطاء الأدباء ، الذين أصيروا في حياتهم بالبؤس والشقاء ، وظل حياته مجاهداً ويكافح في التأليف واحتراف الوراقه والنسيخ ووجوب الأقطار ، يقصد الأسراء والوزراء لهم يكافثون عليه وأدبه ، فلم يحظ من كل ذلك بطالئ ، وعاش كما يقول في بعض كتبه على نحو أربعين درهماً في الشهر أى ما يساوى جنيهاً واحداً – مع أنه كما يقول – رأى كل من حوله من المطاء والشعراء يحظون من الأماء بالمال الكثير والحظ الوافر ، وليس أكثرهم يدانه علماً أو يجاريه أدباً . قصد ابن العميد وابن عباد وابن شاهوريه وابن سعدان وأبا الوفاء المهندس وغيرهم ، ومدح وأطرب ، وبكى واشتكي ، وهدد وأوعد ، فما تعمه مدحه ولا ذمه ، ولا إطراؤه ولا بجاؤه ، فإن استفاداشي ، مما عاناه أبو حيان فإما هو الأدب بما كتب وألف ، وبما بها واستعطف .

ولم يكن حظه بعد وفاته بأحسن من حظه في حياته ، فقد عجب ياقوت من أن مؤرخي الرجال لم يترجموا له ، مع أنه فيلسوف الأدباء وأديب الفلسفه ، ولم نثر فيما بين أيدينا من الكتب على ترجمة وافية لحياته إلا نفراً قصيرة وأخباراً ضئيلة .

وأراد هو أن ينتقم من الناس الذين كفروا صنيعه ، ووجهدوا علمه وأدبه ، فأحرق في آخر أيامه كتبه ، وقال : «إني جمعت أكثرها للناس ولطلب الثالثة

منهم ، ولقد أرداه ببراءة بينهم ، ولما الجاه عندهم ، فحرمت ذلك كلها... ولقد اضطررت بينهم بعد العشرة والمعروفة في أوقات كثيرة إلى أكل الخضر في الصحراء ، وإلى التكفف الفاضح عند الخاصة والعامة ، وإلى بيع الدين والمروة ، وإلى تعاطي الرياء بالسمعة والنفاق ، وإلى ما لا يحسن بالحر أن يرسمه بالقلم ، ويطرح في قلب صاحبه الألم » .

قال السيوطي : « ولعل النسخ الموجودة الآن من تصانيفه كتبت عنه في حياته وخرجت من قبل حرقها » .

وكان من شؤمه أنه لم يبق من كتبه التي ألقاها — وتبليغ نحو المئتين — إلا القليل ، ولم يطبع منها إلا المقابلات والصداقة والصديق ، ورسالة في العلم ، وما بقي منها مخطوطاً ، بل وما طبع منها مملوء بالتحريف والتصحيف إلى حد بقلل من قيمتها والانتفاع بها .

ولعل أقوم كتبه وأتقنها وأمتهما كتابه الذي نحن بصدده وهو « كتاب الامتناع والمؤانة » .

فهو كتاب ضخم يقع في ثلاثة أجزاء أخذنا أقصى بشره لتميم تفعه . ولتأليف أبي حيان لهذا الكتاب قصة ممتهنة ، ذلك أن أبو الوفاء المهندس كان صديقاً لأبي حيان وللوزير أبي عبد الله العارض ، فقرب أبو الوفاء إلى أبي حيان من الوزير ، ووصله به ، ومدحه عنده ، حتى جعل الوزير أبو حيان من مُهتماته ؛ فراسره سبعاً وثلاثين ليلة كان يجادله فيها ، ويطرح الوزير عليه أسئلة في مسائل مختلفة فيجيب عنها أبو حيان .

ثم طلب أبو الوفاء من أبي حيان أن يقص عليه كل ما دار بينه وبين الوزير من حديثه ، وذُكره بعنوانه عليه في وصله بالوزير ، مع أنه « أى أبي حيان »

ليس أهلاً لصاحبة الوزارة، لقيح هيئته وسوء عادته وقلة مرانته وحقارة لبسته ، وهدده إن هو لم يفعل أن يغض عنـه ، ويستوحش منه ، ويوقع به عقوبـته ، وينزل الأذى به .

فأجاب أبو حيان طلب أبي الوفاء ، وزـل على حكمـه ، وفضلـ أن يدونـ ذلك في كتاب يـشتـلـ علىـ كلـ ماـ دـارـ بـيـنهـ وـيـنـ الـوزـيرـ منـ دقـيقـ وجـلـيلـ وـحـلوـ وـسرـ ، فـوـافـقـ أـبـوـ الـوـفـاءـ عـلـىـ ذـلـكـ ، وـنـصـحـهـ أـنـ يـتوـخـيـ الـحـقـ فـيـ تـفـاعـيـنـهـ وـأـنـانـهـ ، وـالـصـدقـ فـيـ إـيـرـادـهـ ، وـأـنـ يـطـلـبـ فـيـاـ يـسـتـوـجـبـ الإـطـنـابـ ، وـيـصـرـحـ فـيـ مـوـضـعـ التـصـرـيجـ .

« فـكـانـ مـنـ ذـلـكـ كـتـابـ الـإـمـتـاعـ وـالـمـؤـانـةـ »

منـ هوـ الـوـزـيرـ أـبـوـ عـبـدـ اللهـ الـعـارـضـ الـسـاسـهـ أـبـوـ حـيـانـ ؟

لـقدـ بـحـثـتـ عـنـهـ فـيـ مـظـانـهـ فـلـ أـوـفـقـ إـلـىـ الشـورـ عـلـيـهـ ، وـقـبـلـ ذـلـكـ عـنـيـ الـرـحـومـ أـحـدـ زـكـيـ باـشاـ بـالـبـحـثـ وـالـسـؤـالـ عـنـهـ مـنـ بـعـضـ عـلـمـاءـ الشـرـقـ وـالـفـرـقـ فـكـانـ حـظـهـ حـظـيـ .

وـأـخـيـراًـ رـجـحـتـ أـنـ هـوـ الـوـزـيرـ أـبـوـ عـبـدـ اللهـ الـحـسـينـ بـنـ أـحـدـ بـنـ سـعـدانـ وـزـيـرـ صـحـاصـ الـدـوـلـ الـبـويـهـيـ ، وـقـدـ وـرـدـ اـسـمـ هـكـذاـ فـيـ كـلـ مـاـ رـاجـمـتـ مـنـ وـزـيـرـ صـحـاصـ الـدـوـلـ الـبـويـهـيـ ، وـقـدـ وـرـدـ اـسـمـ هـكـذاـ فـيـ كـلـ مـاـ رـاجـمـتـ مـنـ كـتـبـ الـتـارـيخـ أـمـثـالـ : (ـتـجـارـبـ الـأـمـ)ـ وـذـيـلـهـ (ـوـابـنـ الـأـنـيـرـ)ـ ، وـلـمـ يـلـقـبـهـ أـحـدـ مـنـهـ (ـبـالـعـارـضـ)ـ ؛ وـكـلـهـ (ـبـالـعـارـضـ)ـ كـاـنـ فـيـ كـتـابـ (ـالـأـنـسـابـ لـالـسـعـانـيـ)ـ مـعـنـاهـاـ : «ـ مـنـ يـعـرـفـ الـسـكـرـ وـيـخـفـظـ أـرـزـاقـهـ ، وـيـوـصـلـهـ إـلـيـهـمـ وـيـعـرـضـهـ عـلـىـ الـلـكـ إـذـاـ اـحـتـيـجـ إـلـىـ ذـلـكـ»ـ فـالـظـاهـرـ أـنـ الـوـزـيرـ أـبـوـ عـبـدـ اللهـ لـقـبـ هـذـاـ اللـقـبـ إـمـاـ لـأـنـهـ تـوـلـىـ هـذـاـ الـعـلـمـ قـبـلـ أـنـ يـقـولـ الـوـزـارـةـ ، أـوـ كـانـ هـذـاـ لـقـبـ الـأـسـرـةـ ؛ وـدـاـيـلـيـ عـلـىـ ذـلـكـ أـمـورـ (ـ1ـ)ـ أـنـ وـرـدـ فـيـ صـدـرـ هـذـاـ كـتـابـ أـنـ أـبـاـ الـوـفـاءـ ذـكـرـ لـأـبـيـ حـيـانـ :

أنك لما انكفت من الرئيسي إلى بغداد في آخر سنة ٣٧٣ مغيطاً من ابن عباد، وعذتك صلاح حالت ، وأن أوصلتك إلى الأستاذ أبي عبدالله العارض ، ثم جاء وصف أبي عبدالله هذا بالوزير .

ونحن إذا رجعنا إلى من استوزر فيها بين سنة ٣٧٠ وسنة ٣٧٥ لم نجد وزير يكفي بأبي عبدالله إلا الوزير أبي عبد الله الحسين بن أحمد بن سعدان ، فقد استوزره مصمام الدولة سنة ٣٧٣ وقتلته سنة ٣٧٥ .

(٢) جاء في أثناء كتاب «الإمتاع والمؤانسة» أن أبو حيان قص على الوزير أنه سمع رجلاً على جسر بغداد يقول وقد رأى ابن بقية الوزير الشهور مصليباً بعد أن مات عضد الدولة : «سبحان الله ! عضد الدولة تحت الأرض وابن بقية فوق الأرض » ، فلما سمع الوزير ذلك قال : استأذنت الملك في دفن ابن بقية فدفن .

وقد ذكر المؤرخون أن ابن بقية دفن في عهد مصمام الدولة ؟ ولم يكن اصمصام الدولة وزير يكفي بأبي عبدالله غير ابن سعدان .

(٣) وما يستأنس به أن أبو حيان كان متصلاً بالوزير ابن سعدان وألف له كتاب «الصدقة والصدق» وقد ذكر في أوائله «أن السبب كان في إنشاء هذه الرسالة أني ذكرت شيئاً منها لزيد بن رفاعة أبي الخير ، فنها إلى ابن سعدان سنة إحدى [وسبعين] وثلاثمائة قبل تحلمه أعباء الدولة وتديريه أمر الوزارة حين كانت الأشغال خفيفة ، والأحوال على أذلاها جارية ، فقال لي ابن سعدان : قد قال لي زيد عنك كذا وكذا . قلت : قد كان ذلك . قال : فدون هذا الكلام وصله بصلاته فجئت ما في هذه الرسالة » .

فأتصال بأبي حيان بابن سعدان وتأليفه له كتاب «الصدقة والصدق» يرجع القلن بأنه هو أبو عبد الله العارض .

نم كان من رجال مصمام الدولة من اسمه أبو الحسن بن عماره العارض استخدمه مصمام الدولة في السفاره بينه وبين أعدائه أحياناً ، ولكن يبعد أن يكون هو الذي ألف له كتاب الإمتاع والمؤانسة – لأن كبيته أبو الحسن والذي ألف له الكتاب أبو عبد الله – ولأن أبو الحسن لم يكن وزيراً لعصام الدولة . وفي الكتاب النص في مواضع متعددة على أنه أبو الله الوزير .

(٤) ذكر في كتاب «الإمتاع والمؤانسة» أصدقاء أبي عبد الله العارض وعد منهم ابن زرعة وأبا الوفاء المهندس ومسكوبه والأموazi وبهرام وابن شاهويه ، وأنهم كانوا يلازمونه وأثنهم أهل مجلسه ، وعدد في كتاب الصدقة والصدق أصدقاء ابن سعدان فإذا هم م^(١) ؛ فاتحاد الأصدقاء وتوافقهم واجتماعهم في مجلس وزير يرجح القلن جداً بأن ابن العارض هو ابن سعدان .

(٥) جاء في «كتاب الإمتاع والمؤانسة» أن الوزير سأل أبو حيان عما يقول الناس فيه . فقال له : «سمعت بباب الطلاق قوماً يقولون : اجتمع الناس اليوم على الشط ، فلما نزل الوزير ليركب الزرب صاحوا ونحوه وذكروا غلاء القوت وعوز الطعام وتعدر الكسب وغلبة الفقر ، وأنه أجابهم بجواب مُرة مع قطوب الوجه وإظهار التبرّم » .

وهذه الأوصاف كلها تنطبق على ما ذكره أبو شجاع في كتابه «ذيل تجارب الأم» عن حادثة جرت لابن سعدان .

وابن سعدان هذا استوزر صمصم الدولة البوبي سنة ٣٧٣ لما تقلد الأمور بعد وفاة أبيه عضد الدولة . جاء في كتاب « ذيل تجارب الأم لأبي شعاع : « وفيها [أى في سنة ٣٧٣] خل على أبي عبد الله الحسين بن أحمد بن سعدان خلم الوزارة — وكان رجلا باذلا لعطائه ، مانعا لقتاته ، فلا يراه أكثر من يقصده إلا ما بين نزوله من درجة داره إلى زربه ^(١) ؛ ومع ذلك فلا ينحب طالب إحسان منه في أكثر مطلب فبسط يده في الإطلاقات والصلات وأحدث من الرسوم استيفاء الشر من جميع ما تسبب به الأولياء والكتاب والخواشى من أموالهم وأرزاقهم وانضاف إلى ضيق خلقه ما اتفق في وقت نظره من غلاء سعر ، فتضطربت العامة ورجعوا زربه ، وشققاوا الدليل عليه ، وجمعوا على نهب داره ، وانتهت الحال إلى ركوب صمصم الدولة إلى مجتمعهم حتى تلافاهم وردم ^(٢) .

وقد ظلل ابن سعدان في الوزارة إلى سنة ٣٧٥ حتى ظهر له خصم هو أبو القاسم عبد العزيز بن يوسف ، فظل يكيد له وينصب الشباك للإيقاع به .

وحدث أن ابن سعدان أراد أن يعين أبيه كاتباً لوالدة صمصم الدولة لامات كتابها ، فقال أبو القاسم لصمصم الدولة : « إن ابن سعدان قد استولى على أمورك ، وملك عليك خزانةك وأموالك ، فإذا تم له حصول والده مع السيدة حصلنا تحت الحجر معه ^(٣) ». وقت المكيدة ولم يعن أبوه . ثم قبض على ابن سعدان وأصحابه وأودعوا السجن ، واستوزر صمصم الدولة هذا الواثق

(١) الزرب : ضرب من السنف .

(٢) ص ٨٥

(٣) ص ١٠٣

أبا القاسم عبد العزيز بن يوسف ، ولم يكتف أبو القاسم بمحبس ابن سعدان فاتهز فرصة خروج ثائر على صمصم الدولة اسمه « أسفار بن كردويه » يريد خله ، فدس أبو القاسم إلى صمصم الدولة أن ابن سعدان متصل بهذا الثائر وأن الذي جرى كان من فعله وتديريه ، وأنه لا يؤمن ما يتجدد منه في محبسه ، فأمر صمصم الدولة بقتله ، فقتل سنة ٣٧٥ .

وكان لابن سعدان ناحية أخرى علمية أدبية يصورها أبو حيان في كتابه ، فهو واسع الاطلاع ، له مشاركة جيدة في كثير من فروع العلم من أدب وفلسفة وطبيعة وإلهيات وأخلاق ، يدل على ذلك حواره الذي يحكيه أبو حيان في كتابه الإمتعان والمؤانسة والمقابس ، فهو يسأل أسئلة عميقة ، وينقد الإجابة عنها تقدماً فيها .

وفوق ذلك كان له في وزارته متendi يجمع كثيراً من جلة العلماء والأدباء منهم ابن زرعة الفيلسوف النصراني ، وابن مسكويه صاحب (تهذيب الأخلاق) (وتجارب الأم) ، وأبو الوفاء المهندي الذي سنتحدث عنه ، وأبو سعد بهرام بن أردشير ، ومن الشعراء ابن حجاج الشاعر الماجن المشهور ، ومن الكتاب أبو عبيد الخطيب الكاتب ، وأبو حيان صاحبنا .

وكان له مجالس شراب يجلس إليه بعض هؤلاء فيتفاكون ويتنادون ويدهبون في فنون الحديث كل مذهب ، ومجلس جدي يتعاونون فيه ويتناقشون في الفلسفة والأخلاق والأدب .

وكان يباهي بمجلسه ويغتر به على مجالس الأمراء المعاصرين له ، مثل الملهي وابن الصميد والصاحب بن عباد . فيقول في أصحابه هؤلاء : « ما هذه الجماعة بالعراق شكل ولا نظير ، ... وأن جميع نداماء الملهي لا يفون بوحد من

هؤلاء ، وأن جميع أصحاب ابن العميد يشتهون أقل من فيهم ، وأن ابن عباد ليس
عنه إلا أصحاب الجدل الذين يشغبون ويحمقون ويتصايرون^(١) . فلا عجب
— إذن — أن يكون من نتاج ابن سعدان الوزير العالم هذا الكتاب الذي
نحن بصدده ؟ كتاب « الإمتاع والمؤانسة » .

وأما أبو الوفاء الذي وصل أبا حيان بابن سعدان والذي ألف أبو حيان
له كتاب « الإمتاع والمؤانسة » ودون له فيه كل ما دار بينه وبين الوزير
في سبع وثلاثين ليلة ، فهو محمد بن محمد بن يحيى البُوزجاني . ترجم له ابن النديم
في (الفهرست) وابن خلkan في (وفيات الأعيان) ؛ وقال فيه هذا الأخير : « إنه
أحد الأئمة الشاهير في علم الهندسة ، وله فيه استخراجات غريبة لم يسبق بها ،
وكان شيخنا العلامة كمال الدين أبو الفتح موسى بن يونس — وهو القيم بهذا
الفن — يبالغ في وصف كتبه ، ويعتمد عليها في أكثر مطالعاته ويحتاج بما يقوله
وكان عنده من تأليفه عدة كتب وكانت ولادته سنة ٣٢٨ بمدينة بورزجان ،
وقدم العراق سنة ٣٤٨ ، وتوفي سنة ٣٧٦ » . وقد ذكر ابن خلkan أنه نقل
تاریخ الوفاة هذا من شیخه ابن الأثیر . ولكن الذي في ابن الأثیر أنه عذّ وفاته
في حوادث سنة ٣٨٧ ، فاما أن ابن خلkan أخطأ في النقل أو أن الناسخ
أخطأ في الكتابة .

وكان أبو الوفاء هذا من ندماء ابن سعدان كما تقدم ، وقد وصفه ابن سعدان
في جملة ما وصف من أصحابه . فقال : « وأما أبو الوفاء ، فهو والله ما يقدّم به عن
المؤانسة الطيبة والمساعدة المطربة والفاكهة اللذيدة والمواطنة الشهية ، إلا أن لفظه
خراساني ، وإشارته ناقصة ، هذا مع ما استفاده بمقامه الطويل ببغداد ، والبغدادي

(١) انظر رسالة الصدقة والمصدق من ٣٤

إذا تخرسن كان أعلى وأظرف من الخراساني إذا تبدد^(١) .

إلى هنا رأينا أن الكتاب ألف لأبي الوفاء المهندس ، نقل فيه أبو حيان
ما دار بينه وبين ابن سعدان . ولكن القبطي في كتابه « أخبار الحكايا »
عند ترجمته لأبي سليمان المنطقي أورد كلاما ينافي ما نقول ، سواء في ذلك من
ألف له الكتاب ، ومن دار الحديث بينه وبين أبي حيان .

فقد ذكر : « أن أبا سليمان كان أعمى ، وكان به وضع ، وكان ذلك سبب
انقطاعه عن الناس وزوجه منزله ، فلا يأتيه إلا مستفيد وطالب علم ، وكان
يشتت الاطلاع على أخبار الدولة وعلم ما يحدث فيها وكان أبو حيان
التوحيدى من بعض أصحابه المتصدين به ، وكان يقشى مجالس الرؤساء وبطاع
على الأخبار ، ومهمًا عليه من ذلك قوله إليه وحاصره به ، ولأجله صنف كتاب
« الإمتاع والمؤانسة » نقل له فيه ما كان يدور في مجلس أبي الفضل عبد الله بن
العارض الشيرازى عند ما تولى وزارة حڪام الدولة بن عضد الدولة^(٢) . وأنا
أرجح خطأ القبطي في الوجهين مما .

فأمّا في الأول : فإن النسخة التي يذكر أنّه لأبي الوفاء المهندس
لأبي سليمان المنطقي . ويقول في صدر الكتاب : إنه الله رداً جليل أبي الوفاء
إذ كان هو الذي أوصله لأبي عبد الله . وعندما يأتي ذكر أبي الوفاء في ثانياً
الكتاب ، ويسأل أبو عبد الله أبا حيان عن رأيه فيه يمدحه ويثنى عليه ، ويقول :
كيف أذمه وهو الذي أوصلي بك ، وقد سبق أن أثبتنا أنّ أبا الوفاء كان من
ندماء أبي عبد الله .

(١) الصدقة والمصدق . ٣٢

(٢) أخبار الحكايا من ٢٨٣ .

ودليل آخر، وهو أن أبي حيان في بعض كلامه في الكتاب يستجدي من ألف له الكتاب، وقد كان أبو الوفاء المهندس في منزلة تسع له بذلك، فإنه رجل جليل القدر يلقبه الوزير بشيخنا. أما أبو سليمان فكان قفيراً كما ذكر ذلك أبو حيان في هذا الكتاب، وكانت صلة أبي حيان به صلة علمية لا صلة مالية، فمن البعيد جداً أن يستجديه أبو حيان.

ودليل ثالث: وهو أن الوزير أبو عبد الله سأله أبي حيان في الكتاب عن أبي سليمان هذا، فذكر له أوصافه، وفيها ما هو عيب لأبي سليمان كقوله: إنه مجتمع مع قوم للشراب، ويدرك بعضهم الوزير بالسوء، فلو كان أبو حيان أله لأبي سليمان لكان بعيداً كل البعد أن يذكر هذا الحديث.

ودليل رابع: وهو أن أبي حيان ينقل في كتابه هذا عن أبي سليمان، ويدرك آراؤه، وينقل بعض رسائله إلى الوزير، ولو كان يؤلف الكتاب لأبي سليمان لاستغنى عن ذكر ما يعرفه أبو سليمان عن نفسه من أقواله ورسائله، ولكان أبو حيان في ذلك كمن ينقل إلى البئر ماء، وإلى الكنز ذهب، وهذا غير مأوف ولا مست ساع.

لهذا كله نرجع خطأ القبطي فيما ذهب إليه من أنه أله لأبي سليمان المنطق. كما نرجح خطأه في الشق الثاني، وهو أن أبي حيان دون فيه ما كان يدور بينه وبين أبي الفضل عبد الله بن العارض الشيرازي وزير مصمم الدولة. ذلك لأن النسخة التي بين أيدينا يذكر فيها أبو حيان أنه دون فيه ما دار بينه وبين أبي عبد الله العارض لا أبي الفضل عبد الله بن العارض. وقد راجعنا كتب التاريخ التي بين أيدينا وأحصينا فيما نحن تولي الوزارة لمصمم الدولة، فلم نجد من بينهم أبي الفضل عبد الله بن العارض الشيرازي الذي ذكره القبطي

وكما تقول دائرة المعارف الإسلامية في مادة أبي حيان تبعاً له .
نم رأينا من يسمى أبي الفضل الشيرازي ، وكان يعيش في هذا المصر ولكن اسمه أبو الفضل محمد بن عبد الله بن المرزبان الشيرازي لا أبو الفضل عبد الله الشيرازي كما يقول القبطي . وكان هذا كاتباً لا وزيراً ، وكان صديقاً لأبي علي الحسن التنوخي ، ونقل عنه كثيراً في كتابه « نثار الحاضرة » ولقبه الكاتب لا الوزير . والذى ألف له الإمتناع والمؤانسة وزير لا كاتب .
يضاف إلى ذلك ما ذكرنا قبله من البراهين .

فالكتاب — في رأينا — كتب لأبي الوفاء المهندس لا لأبي سليمان المنطقى ودون فيه ما دار في مجلس ابن سعدان لا أبي الفضل الشيرازي .

وصف الكتاب : قال القبطي في وصفه : « وهو كتاب متع على الحقيقة لمن له مشاركة في فنون العلم ، فإنه خاص كل بمحرر ، وخاص كل بجنة ، وما أحسن ما رأيته على ظهر نسخة من كتاب الإمتناع بخط بعض أهل جزيرة صقلية وهو : أبتدأ أبو حيان كتابه صوفياً وتوسطه محدثاً ، وختمه مائلاً ماجفاً^(١) » .

قسم أبو حيان كتابه إلى ليال ، فكان يدون في كل ليلة ما دار فيها بينه وبين الوزير على طريقة قال لي وسألني وقت له وأجبته . وكان الذي يقترح الموضوع دائمًا هو الوزير . وأبو حيان يحب عما اقترح ، وكان الوزير يقترح أولاً موضوعاً حسبما اتفق وينتظر الإجابة ؟ فإذا أجاب أبو حيان فأمرت إجابته أفكاراً وسائل عند الوزير فيستطرد إليها ويسأله عنها ، فقد يسأله سؤالاً يأتي

(١) أخبار الحكماء . ٢٨٣ .

في أثناء الإجابة عنه ذكر لابن عباد أو ابن العميد أو أبي سليمان المنطوق ، فيسأله الوزير عنهم وعن رأيه فيهم ، وهكذا ، يستطرد من باب لباب ، حتى إذا أتى به المجلس كان الوزير يسأله غالباً أن يأتيه بطرفة من الطرفاف يسمى غالباً : «ملحة الوداع» فيقول الوزير - مثلاً - : إن الليل قد دنا من غبره ، هات ملحة الوداع . وهذه الملحة تكون - عادة - نادرة لطيفة أو أحياناً رقيقة ، وأحياناً يتصرّح الوزير أن تكون ملحة الوداع شعراً بدؤياً يشم منه رائحة الشيخ والقيصوم وهكذا .

وأحياناً يكلفه الوزير أن يتم له المسألة المعروضة في رسالة ؟ فقد سأله مرة عن الصادر التي تتحيى على وزن تعال ، فأجابه أبو حيان عن بعضها ، ثم قال منه الوزير أن يجمع له ما جاء في اللغة منها .

وأحياناً يتخذ الكلام شكل حوار . فأبو حيان - مثلاً - يروي عن ديوجانيس أنه سئل : متى تطيب الدنيا ؟ فقال : «إذا تقلّف ملوكها ، وملك فلاسفتها» ؟ فلم يرض الوزير عن هذا ، وقال : إن الفلسفة لا تصح إلا من رفض الدنيا وفرغ نفسه للدار الآخرة ؟ فكيف يكون الملك راضياً للدنيا وقاليها لها ، وهو يحتاج إلى سياسة أهلها ، والقيام عليها باحتلال مصالحها ونفي مفاسدها ! - وأطال في ذلك - وفي كثير من الأحيان يعلق الوزير على إجابة أبي حيان بالاستحسان أو الاستهجان مع ذكر أسباب ذلك .

وأحياناً يطلب إليه الوزير أن يحصر له رسالة في موضوع ، ثم يتلوها عليه في جلسة مقبلة كما فعل مرة ، إذ كلّه أن يكتب له في الجون والملح ، فعل أبو حيان وقرأها عليه في مجلس . قال أبو حيان : «فما قرأتها على الوزير قال : ما علمت أن مثل هذا الحجم يحوي هذه الوصايا واللائح» .

وآونة يثير الوزير مسائل أشكلت عليه في اللغة والفلسفة والاجتماع ، يعرضها على أبي حيان ويطلب منه الجواب فيفعل .

ويحدث أحياناً أن الوزير يدفع لأبي حيان برقة فيها أسئلة يطلب إليه أن يفكّر في الإجابة عنها ، ويحصل بغيره من العلامة ليأخذ رأيه فيها ؟ كما حدث مرّة أنه دفع إليه برقة بخطه فيها مطالب ، وقال : باحث عنها أبي سليمان وأبا الحير ، ومن تعلم أن في محاورته فائدة . وكان في الرقة أسئلة منها عن الروح وصفتها ومنتفعته ، وما المانع أن تكون النفس جسماً أو عرضاً أو هباء ؟ وعلّ تبقى ؟ وإن كانت تبقى فهل هي تعلم ما كان الإنسان فيه هبنا الح . ويقول الوزير في آخر هذه الرقة : «إن هذا وما أشبهه شاغل لقلبي وجاثم في صدرى ، ومعترض بين قصي وفكري ، وما أحب أن أبوج به لكل أحد» ؛ ويأسره بأن يكتّم خطه فإن أراد أن يعرض هذه المسائل مكتوبة على أبي سليمان فلينسخها بخطه هو . ثم سأّل أبو حيان أبي سليمان وذكر إجابتة عنها ونقلها إلى الوزير ، وعلى هذا النط بجزي تأليف الكتاب .

وموضوعات الكتاب متنوعة تنوعاً ظريفاً لا تخضع لترتيب ولا تبويب ، إنما تخضع لخطرات العقل وطيران الخيال وشجون الحديث . حتى لنجد في الكتاب مسائل من كل علم وفن ؟ فأدب . وفلسفة . وحيوان . ومحون . وأخلاق . وطبيعة . وبلاهة . وتفصير . وحديث . وغناء . ولغة . وسياسة . وتخمين . شخصيات لفلاسفة المصر وأدبائه . وعلمائه . وتصویر للعادات وأحاديث المجالس ، وغير ذلك مما يطول شرحه .

فما أراد أبو حيان أن يدون لأبي الوفاء ما دار بينه وبين الوزير زاد فيه ونفق الحديث . وكان يدون جزءاً ويرسله إلى أبي الوفاء . ويتبعه بجزء آخر وهكذا ...

وحدث هو نفسه عن ذلك كله في أول الجزء الثاني فقال : « قد فرغت من الجزء الأول على ما رسمت لـي القيام به ، وشرفتني بالخوض فيه ، وسررت في حواشيه أعيان الأحاديث التي خدمت بها مجلس الوزير ، ولم آل جهداً في روایتها وتقویتها ، ولم أجئ إلى تعمية شيء منها ، بل زبرجت كثيراً بناصع اللفظ مع شرح الفاضل ، وصلة المذوف ، وإتمام المقصوص ، وحملته إليك على يد « فائق » الفلام ، وأنا حريص على أن أتبعه بالجزء الثاني ، وهو يصل إليك في الأسبوع إن شاء الله .

وقد خاف أبو حيان من بعض ما ورد في الكتاب ؛ فإنه في حديثه مع الوزير عاب أشخاصاً من رجالات الدولة الذين يستطيعون إيذاءه ، فرجأ أبو حيان أخوافه أن يحفظ هذا الكتاب سراً ، فقال : « وأنا أسألك ثانية على سرقة التوكيد كما سألك على طريق الاقتراح أن تكون هذه الرسالة مصوبة عن عيون الحاذدين العياين ، بعيدة عن تناول أيدي المفسدين المنافقين ، فليس كل قائل يسلم ، ولا كل سامي ينصف » .

وقد أخبر أبو حيان وعله ، وأرسل إليه الجزء الثاني على يد غلامه فائق أيضاً . ثم أرسل إليه الجزء الثالث وهو الأخير ، وقال في أوله : « قد أرسلت إليك الجزءين الأول والثاني . وهذا الجزء — وهو الثالث قد والله أقيمت فيه كل ما في نفسي من جد وهزل ، وغث وسمين ، وشاحب ونضير ، وفكاهة وأدب ، واحتجاج واعتذار ولأنه آخر الكتاب ختمته برسالة وصلتها بكلام في خاص أمري » .

وعلى هذا الوضع ينتهي الكتاب .
ولست أستبعد أن يكون أبو حيان قد تزيد فيه ، واخترع أشياء لم تجرف

مجلس الوزير ، فقد عرف عنه أمثلة من هذا القبيل ، فقد اتهمه العلماء من قبل ونهم ابن أبي الحديد بأنه وضع الرسالة المشهورة المزورة إلى أبي عبيدة على لسان أبي بكر وعرف حق على بن أبي طالب ، ولعل هذا التزييد كان من ضمن الأسباب التي دعته أن يرجو أبا الوفاء في أن يكون الكتاب سراً ، فإنه ألف الكتاب في حياة الوزير ، وخشي أن الوزير يطلع عليه فعلم مقدار ما تزيد . أما أنه ألفه في حياة الوزير ، فالدليل عليه ما جاء في نسخة ميلانو : « أنشئت هذه الرسالة في رجب سنة ٣٧٤ » والوزير ابن سعدان ظل وزيراً من سنة ٣٧٣ إلى سنة ٣٧٥ كما تقدم .

وأيا ما كان ، فالكتاب متع مؤنس كاسمه ، يلقى نوراً كبيراً على العراق في النصف الثاني من القرن الرابع — أعني في العصر البويهي — وهو عصر معيش بالظلام فإنه يتعرض لكثير من الشؤون الاجتماعية في ثنايا حديثه ، فيصف الأماء والوزراء ومجالسهم كابن عباد وابن العميد وابن سعدان ، ومحاسنهم ومساوئهم ، ويصف العلماء ، ويحلل شخصياتهم ، وما كان يدور في مجالسهم من حديث وجداول وخصوصية وشراب ، ويصف النزاع بين الناطقة وال نحوين كالناظرة الممتعة التي جرت بين أبي سعيد السيرافي ومقى بن يونس القلنطي في المفاصلة بين المتعلق اليوناني والنحو العربي ، ورأى العلماء في الشعوبية والمفاصلة بين الأمم ، إلى كثير من أمثال ذلك .

وفي الكتاب النص الوحد الذي كشف لنا عن مؤلف إخوان الصفاء ، وقد نقله القبطي منه ، إذ كان الوزير قد سأله أبو حيان عن هذه الرسائل ومن ألقها ؛ وعن القبطي نقله كل من كتبوا عن إخوان الصفاء .

كما أن فيه فوائد كثيرة عن الحياة السياسية للدولة ، فهو يصف كثيراً حالة الشعب في عصره و موقفهم من الأمراء والملوك ، وهي جانهم وأضطرابهم وأسباب ذلك .
وكما يعرض أحياناً للحياة الاجتماعية الشعبية فيذكر عدد القينات في الكرخ فيقول : « ولقد أحصينا في سنة ٣٦٠ : ٤٦٠ جارية من القينات و مائة وعشرين من الحرائر ، و خمسة و تسعين من الصبيان الذين يجتمعون بين الحدق والحسن . هذا سوى من كنا لا نظر به ولا نصل إليه لمزته ورقاباته ، وسوى ما كنا نسمعه من لا يتظاهرون بالفناء وبالضرب إلا إذا نشط أو نعمل في حال أو خلع العذار في هوئي » . وأنطيل جداً لو وصفت ما في الكتاب من فوائد .

نعم إن أسلوبه في تقسيمه إلى ليال ، و ذكره ما دار في كل ليلة على سبيل الحديث والمحوار ، يجعله لذذاً شيئاً ، أو على حد تعبيره هو - ممتعاً مؤنساً - فهو أشبه شيء بألف ليلة وليلة ، ولكنها ليست ليالي لها و الطرب وكيد النساء ولعب الغرام ، إنما هي ليال لل فلاسفة والمفكرين والأدباء ، إذ يتعرض فيه لأهم مشاكل الفلسفه ، كالبحث في الروح والعقل والقضاء والقدر وما إلى ذلك ، كما يتعرض لمشاكل البلاغة كالليلة البدعة التي جرى فيها الحديث عن النثر والنظم والمفاضلة بينهما ، ومزايا كل ونقصه وهكذا . فإن كان ألف ليلة وليلة يصور أبعد تصوير الحياة الشعبية في ملاهيها وفتنها وعشقها ، فكتاب الإمتاع والمؤانسة يصور حياة الأرستقراطيين أرستقراطية عقلية ؛ كيف يعيشون ، وفيهم يفكرون ، وكلامها في شكل قصصي مقصى إلى ليال ، وإن كان حظ الخيال في الإمتاع والمؤانسة أقل من حظه في ألف ليلة وليلة .

وأسلوب أبي حيان في الكتاب أسلوب أدبي راق كمدنا في كل كتاباته ؛ يحب الإزدواج ويطيل في البيان ، ويختنقى حذو الجاحظ في الإطناب والإطالة في تصوير الفكرة ، وتوليد المعاني منها حتى لا يدع لقائل بعده قوله ؛ ولكن أغضنه أسلوبه في هذا الكتاب تعرضاً كثيراً لمسائل فلسفية عميقة قد عززت على البيان ، ودقت عن الإيضاح ، فإذا هو خرج عن هذه الموضوعات الدقيقة إلى موضوعات أدبية : كوصف لفقره وبؤسه ، أو وصف لسكرم وفوائده ، أو وصف للسان والبيان ؛ جرى قوله وسائل سهلة وأجاد وأبدع .

نسخ الكتاب : الكتاب - فيما أعلم - نسختان ، لا أعلم لها ملخصات
العالم ثلاثة .

فأما النسخة الأولى فكاملة ، وهي تقع في خمسة أقسام .

وقد جاء في طرة الجزء الثاني مانبه : « رسم لحزانة السلطان الأعظم ، مالك رقاب الأمم ، مولى ملوك العرب والمعجم ، باسط الأمن والأمان ، ناشر العدل والإحسان ، أبي المفاخر خير الدنيا والدين سليمان بن غازى « محمد الأيوبي » خلد الله تعالى مملكته وسلطانه ، وأعلى في الخاقانين عنده وبرهانه » .

فالجزء الثاني كتب للمعادل سليمان بن غازى الأيوبي .

وكان العادل سليمان أديباً شاعراً ، جاء في (كتف الفنون) ذكر كتاب اسمه « الدر المنين في شعر ثلاثة السلاطين » وهم : « العادل سليمان الأيوبي وولده الأشرف أحد وولده الكامل خليل » . فليمان هذا هو صاحب لحزانة المكتوب هذا الجزء برسمه .

وجاء في آخر هذا الجزء : « تمت الجزء الثاني من كتاب المؤانسة والإمتعان بمحول الله وحسن توفيقه في شوال سنة خمسة عشر وثمانمائة على يد أضعف العباد شرف بن أميره في حصن المخروسة حماها الله تعالى عن الآفات والماهات آمين يا رب العالمين » .

وخط الجزء الثاني (وهو في ثلاثة مجلدات) مخالف لخط الجزء الأول (وهو في مجلدين) ، وإن كان الخطاean قريبي الشبه بعضهما بعض ، والجزء الأول غير مصبوط ، والثاني مصبوط بالضبط الكامل . وكلما الجزئين مملوء بالأخطاء الخطيرة بالإضافة والنقص والتحريف ، ويظهر أن الكاتبين من الخطاطين الذين يجحدون الخط ولا يحسنون الفهم . وكاتب الجزء الثاني يغلب على الفطن أنه ترك لا يحسن العربية فهو يقول : « تمت الكتاب » « لاتم الكتاب » . ويقول « تمت خمسة عشر وثمانمائة » بدل « خمس عشرة » وهذه — مع الأسف — هي توحدها النسخة التامة .

وهذه النسخة أخذها المرحوم أحمد ذكي باشا بالفتوغرافية من مكتبة طوب قبو سراي لما اطلع على الكتاب وعرف قيمته . وقد أحضر النسخة الفتوغرافية معه إلى القاهرة ، واحتفظ بها في مكتبته الخاصة ؛ وقدقرأ الكتاب ، ووضع في الصفحة الأولى من كل جزء فهرساً بعد اللباب وبعض الم الموضوعات ، كما وضع أسماء الأعلام الواردة في الكتاب أمام كل صفحة ، مما يدل على أنه كان يريد نشره ، ويريد ترجمة الأعلام التي وردت فيه ولكن لم يتعرض لتصحيح شيء مما فيه من أخطاء .

وقد توفى — رحمة الله — وهي في مكتبته الخاصة ، فاشترتها السيد حدى السفرجلانى الدمشقى ، وباعها لدار الكتب المصرية .

والنسخة الثانية نسخة فتوغرافية أخذت من أصل في ميلانو ، وليس كاملة ، وإنما هي قطع ثلاث : قطutan من الجزء الثاني وقطعة من الجزء الثالث وهي مشوشة غير مرتبة ، وقد استحضرها ذكي باشا أيضاً ، واحتفظ بها لنفسه ، ثم بيعت لدار الكتب .

ولم يذكر في أية قطعة من القطع تاريخ نسخها ، وخطها واضح وجميل أيضاً ومضبوطة . ولكتها في جلتها لا تقل في الأخطاء عن سابقتها .

وقد كان في نية السيد حدى السفرجلانى نشر المخطوطة قبل بيعها لدار الكتب ، فاستنسخ نسخة منها ، وقرأها مع بعض أفضل دمشق ، منهم الدكتور حسنى سبع والسيد رشدى الحكيم وخليل سردم بك ؛ واستظفروا بعض تصحيحات لما وجدوه في هذه النسخة من تحريف .

وقيمت بعد ذلك مملوءة بالأغلاط كثيرة الجمل والألفاظ التي تشبه الألغاز حتى لا يخلو سطر منها من وقوفات تستدعي الجهد الشديد في تصحيحها . فترى من على لحنة التأليف نشره ، فوافقت على ذلك ، وعهدت إلى كاتب هذه المخطوطة والأستاذ أحد الزين بتصحيحه ؛ وقد بذلت ما جهداً كبيراً في تصحيح المحرف من ألفاظه ، وتفسير غريبه ، وشرح الشكل من عباراته ، وتمكيل الناقص من جمله ، وضبط الملتبس من كلماته ، والتعریف بكثير من ورد ذكره فيه من العلامة والأدباء والشعراء وال فلاسفة ، وهذا هو جهدنا تقدّمه للقراء .

ومع هذا فربما تكون قد أخطأنا الصواب أو أغفلنا بعض المحرف ، وقد أثبتتنا ألفاظه المحرقة في حواشى صفحاته . ويلاحظ أننا في أكثر الأحيان ثبتت اللفظ المحرف وحده غير منهجه على أنه معروف اتكللاً على فهم القاريء ، وفي بعض الأحيان ننبه على أنه تحريف وأن صوابه ما أثبتنا ؛ كما يلاحظ أننا